فلسفة الموت والحياة في القرآن الكريم

الإنسانُ في حياتِه الدنيا يتّصفُ بصفةِ الزوجيّة ، التي تجمع بين النفسِ المجرّدة من جهةٍ ، وبين الجسدِ المادّيِّ من جهةٍ أُخرى .. وفي تفاعلِ هذين الزوجين تكمنُ خلافةُ الإنسانِ لله تعالى ، وتكمُنُ ماهيّةُ حملِ الأمانةِ التي تعهّدَ الإنسانُ بحملِها ..

والسؤالُ الذي يطرحُ نفسَهُ .. هل رحيلُنا من هذا العالمِ المادّيِّ المحسوسِ عَبْرَ الموت ، هو دخولُنا في حالةِ العدم ؟ ، أم في حالةِ وجودٍ آخر ؟ .. وهل الموتَةُ الثانية التي يذكرُها القرآنُ الكريمُ تشملُ كلَّ إنسانٍ أم تشملُ بعضَ البشر ؟ .. ومتى هي ؟ .... وهل الجنّةُ والنارُ موجودتان الآن ، أم ستُوجدان في الآخرة ؟ ..

.. في الموتِ تنفصلُ النفسُ المجرّدةُ عن الجسدِ انفصالاً نهائيّاً ، وتخرُجُ الحياةُ من الجسدِ الذي يتحلَّلُ ويعودُ إلى التراب .. وتعودُ النفسُ إلى عالمٍ مجرّدٍ عن عالمِ المادّة ، بعد أن تكونَ قد اُمتُحنتْ في حملِها للأمانة ، وفي خلافتِها لله تعالى على هذه الأرض ، عَبْرَ الجسدِ الحيِّ ..

فالموتُ الأوّلُ لا يعني الدخولَ في حالةِ العدم ، إنّما يعني انتقالَ النفسِ المجرّدةِ من عالمِ المادّةِ والمكانِ والزمانِ إلى عالمِ البرزخ ..

ولمّا كانت النفسُ مجرّدةً عن عالمِ المادّةِ والمكانِ والزمان ، وكان عالمُ البرزخِ عالَماً غيرَ مادّيٍّ ، فإنّ النفسَ في هذا العالمِ (عالمِ البرزخ) لا تحسُّ بالزمانِ ولا بالمكان ..

وقد أكّدَ القرآنُ الكريمُ هذه الحقيقةَ بشكلٍ جليٍّ ..

(يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً (١٠٢) يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْراً (١٠٣) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً) [طه : ٢٠/١٠٢ – ١٠٤] ..

(قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [المؤمنون : ٢٣/١١٢-١١٤] ..

(وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ)
[الروم : ٣٠/٥٥] ..

ودخولُ النفسِ – بعد موتِها – إلى عالمِ البرزخِ يعني انقطاعَ صِلَتِها بعالمِ الدنيا ، وانقطاعَ اطّلاعِها على هذا العالم .. وهذا طبيعيٌّ لأنّ الجسدَ الذي كان آليّتَها للإطّلاع على عالمِ الدنيا ، قد انفصلتْ عنه انفصالاً نهائيّاً ..

(حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) [المؤمنون : ٢٣/٩٩-١٠٠] ..

ومسألةُ انقطاعِ النفسِ – بعد وفاتِها – عن أحداث عالمِ الدنيا وما يجري فيها ، مسألةٌ أكّدَها القرآنُ الكريمُ عَبْرَ تصويرِه لعدمِ علمِ عيسى عليه السلام بما جرى على الأرض ، حينما توفّاهُ اللهُ تعالى ..

(وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) [المائدة : ٥/١١٧] ..

وهذا البرزخُ الذي يحجز النفسَ – بعد موتها – عن عالمِ الدنيا ، هو من مقتضيات انتهاءِ زمنِ امتحانِ هذه النفسِ في حملِ الأمانة .. فالنفسُ في عالمِ البرزخ لم تَعُدْ تُدركُ الجزئيّات كما كانت تُدركُها في حياتِها الدنيا عَبْرَ الجسدِ الحيّ ..

إذاً النفسُ في حياة البرزخ لا تملك أيَّ آليّةٍ جسديّةٍ للإحساس بالألم أو باللذّة ، لأنّها خارجَ الجسد ، وفي عالمٍ مجرّدٍ عن المادّةِ والمكان والزمان ، وهي بالأصلِ مجرّدةٌ عن المادّة والمكان والزمان .. وأيُّ إحساسٍ لها سواءٌ بالألمِ أم باللذّة ، هو إحساسٌ نفسيٌّ ، مجرّدٌ عن أيِّ آليّةٍ جسديّةٍ ماديّة ..

وحتى في الحياةِ الدنيا ، أثناءَ وجودِ النفسِ في الجسد ، فإنّ النفسَ هي التي تحسّ بالألم واللذّة ، لا الجسد .. ولكنّها – في حياتها الدنيا – تحسّ بآليّةِ الجسدِ عَبْرَ أعضائه ، فالجسدُ ليس أكثرَ من آليّةٍ لإحساسها ..

إنّ الموتَةَ الأولى هي التي نشهدُها في هذه الدنيا حين خروج النفسِ من الجسد خروجاً نهائيّاً ، يعقبُهُ تفسّخُ الجسدِ وعودتُهُ إلى أصله الذي نشأ منه وهو التراب .. وهذه الموتَةُ تمرُّ منها الأنفسُ كلُّها (المؤمنة والكافرة) دون استثناء ..

وبما أنّ هذه الموتَةَ (الموتَةَ الأولى) نشهدُها أمام أعيُننا ، فلم يُنكِرْها الكافرون ، إنّما يُنكرون الموتَةَ الثانيةَ التي تسبقُ البعثَ في الآخرةِ كما سنرى ..

(إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ (٣٤) إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ (٣٥) فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [الدخان : ٤٤/ ٣٤-٣٦] ..

ولذلك نرى أنّ أحدَ أهلِ الجنّة ، حينما يطّلعُ ويرى في سَواءِ الجحيمِ قريناً له في الدنيا ، يَذكُرُ مقولَةَ قرينِه الكافرِ المطابقةَ لمقولةِ الكافرين (إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ) ، وهي عدمُ الاعترافِ إلاّ بالموتَةِ الأُولى ، وإنكارُ البعثِ والعذاب ..

(فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٥٧) أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) [الصّافّات : ٣٧ / ٥٠-٥٩] ..

فالآيتان الأخيرتان (أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) تُصوّران تهكُّمَ الرجلِ المؤمنِ في الجنّةِ على قولِ قرينِه الكافرِ أثناء الحياة الدنيا ، هذا القولِ المُطابقِ لقولِ الكافرين في سورةِ الدخان (إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ) ..

وهاتان الآيتان لا يُمكن أن تُشيرا إلى قولِ الرجلِ المؤمنِ عن حالِ المؤمنين في الجنّة ، فأهلُ الجنّة يعلمون علماً تامّاً – بمجرّدِ دخولهم الجنّة – أنّهم لن يموتوا فيها ، ولن يُعذَّبوا ، ولن يخرجوا منها ، والقرآنُ الكريمُ أكّدَ هذه الحقيقةَ في الكثيرِ من آياته .. وبالتالي فإنّ سحبَ هاتين الآيتين على قولِ الرجلِ المؤمنِ عن حالِ أهلِ الجنّة ، سيؤدّي إلى وصفِ أهلِ الجنّة بأنّهم لا يعلمون بخلودهم فيها ، وبأنّهم لا يعلمون بمفازتهم من العذاب ، وهذا يُناقضُ صريحَ القرآنِ الكريم ..

والكافرون المنكرون للموتة الثانية ، سيعترفون – في جهنّم – بذنوبهم المترتّبة على هذا الإنكار ، حيث قادَهُم هذا الإنكارُ إلى إنكارِ البعث ، وإلى الكفرِ بمنهجِ الله تعالى ، وإلى اقتراف الذنوب التي أدّتْ بهم إلى جهنّم ..

(قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ) [غافر : ٤٠ /١١] ..

إنّ قولَهُم (أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ) يعني نقلْتَنَا من حالة الحياة إلى حالة الموت في نقلتين اثنتين ، لا يُوجد بينهما فاصلٌ من الزمان والمكان ، ولا يعني ذلك نقلْتَنَا من حالة الحياة إلى حالة الموت مرّتين (حياة يتبعها موت ثمّ حياة يتبعها موت) ، فلو كان الأمرُ كذلك لأتتْ العبارةُ القرآنيّةُ على الشكلِ (أمتّنا مرّتين) ..

وقولُهم (وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) يعني نقلتنا من حالة الموت إلى حالة الحياة في نقلتين اثنتين ، لا يُوجد بينهما فاصلٌ من الزمان والمكان ، ولا يعني نقلتنا من حالة الموت إلى حالة الحياة مرّتين (موت تتبعه حياة ثمّ موت تتبعه حياة) ، فلو كان ذلك لأتتْ العبارةُ القرآنيّةُ على الشكلِ (وأحييتنا مرّتين) ..

فالحياةُ الدنيا (الحياة الأولى) والحياةُ الآخرة (الحياة الثانية) ، لا يُوجَدُ بينهما – بالنسبة للإنسان ومن منظارِ عالمِ البرزخِ الذي يفصلُهُما عن بعضِهما – أيُّ زمان ، لأنّ عالمَ البرزخِ – كما رأينا – خارجَ ساحة الزمانِ والمكان .. وبالتالي فالحياتان – من هذا المنظارِ – كأنّهما متّصلتان ..

وقولُهُ تعالى (الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ) [البقرة : ٢٢٩/٢] يؤكّدُ حقيقةَ ما نذهبُ إليه ، فهو يعني وقوعَ الطلاق ثمّ عودةً إلى الحياة الزوجيّة ، ثمّ بعد ذلك وقوعَ الطلاق مرّةً أُخرى .. ولو قالَ اللهُ تعالى (الطلاقُ اثنتان) لكانَ ذلك يشملُ تكرارَ عبارةِ الطلاقِ في حالةٍ واحدة (مرّة واحدة) دون عودةٍ إلى الحياةِ الزوجيّةِ بين عبارةِ الطلاقِ الأولى والثانية ..

إذاً هناك حياتان ، هما الحياةُ الدنيا والحياةُ الآخرة .. وهناك موتتان ، كما رأينا في إقرارِ أهلِ النارِ .. إضافةً إلى أنّ قولَ اللهِ تعالى (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) [الدخان : ٥٦/٤٤] يُشيرُ إلى أنّ هناك موتَةً ثانيةً لا يموتُها أهلُ الجنّة ..

والموتَةُ الأولى معلومةٌ ، وهي التي تخرجُ بها أنفسُنا من أجسادِنا خروجاً نهائيّاً ، حيث نتركُ الدنيا وندخلُ عالمَ البرزخِ .. ولكنْ .. ما هي الموتَةُ الثانيةُ ؟ .. ومتى تكون ؟ .. وهل يمرُّ منها جميعُ البشرِ أم بعضُهُم ؟ ..

إنّ الآيةَ الكريمةَ (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [البقرة : ٢٨/٢] ، لا تُبيِّن لنا الموتَةَ الثانيةَ (كما ذهب الكثيرون) ، وذلك للأسباب التالية :

[١] – قولُهُ تعالى (وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا) لا يعني أنّه حصلتْ إماتةٌ بعدَ حياةٍ ، فلو كان ذلك لكان هناك ثلاثُ حيوات ، هي هذه الحياة (المفترضة) التي قبلَ الدنيا ، والحياةُ الدنيا ، والحياةُ الآخرة ، ولتناقضَ ذلك مع العبارةِ القرآنيّةِ (وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) التي تحصرُ الحياةَ بحياتين ، هما – كما يؤكِّدُ القرآنُ الكريمُ في العديدِ من آياته – الحياةُ الدنيا والحياةُ الآخرة ..

ولا بُدَّ – في هذا السياقِ – أن نذكرَ أنّه لا حياةَ في عالمِ البرزخِ ، أي لا عودةَ للنفسِ إلى جسدِها في هذا العالم ، ولا تُوجدُ آليّةٌ ماديّةٌ لإحساسِ النفس .. فلو كان ذلك لكانت هناك ثلاثُ حيوات ، ولتناقضَ ذلك مع صريحِ القرآنِ الكريم ..

[٢] – الموتَةُ الأولى هي التي تعقبُ حياتنا الدنيا هذه ، بدليلِ إقرارِ الكفّارِ بها كما يؤكّدُ القرآنُ الكريمُ دون أن يُنكرَ عليهم ذلك .. بينما قولُهُ (وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا) يخصُّ ما قبلَ الحياةِ الدنيا ، أي مرحلةَ الأنفسِ المجرّدةِ قبل هبوطِها إلى الدنيا بغيةَ امتحانِها في حملِ الأمانة .. فالموتةُ الأولى هي – حصراً – الموتةُ التي تنقلُنا من الحياةِ الدنيا إلى عالمِ البرزخ ..

[٣] – قولُهُ تعالى (وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا) يصفُ – كما قلنا – عالمَ الأنفسِ المجرّدة ، قبل ولادتنا في الدنيا ، وفي هذا العالمِ وُجِدَتْ جميعُ الأنفسِ (المؤمنة والكافرة) ، فلو كانت هذه المرحلةُ الموتةَ الأولى ، وكانت الموتةُ الثانيةُ خروجَنا من الدنيا إلى عالمِ البرزخِ ، حيث تخرجُ جميعُ الأنفسِ (مؤمنة وكافرة) .. لو كان ذلك لذاقَ أهلُ الجنّةِ موتتين ، بدلَ موتةٍ واحدة (الموتة الأولى) ، ولتنافى ذلك مع صريحِ القرآنِ الكريمِ ، الذي يؤكّد أنّ أهلَ الجنّةِ لا يذوقون إلاّ الموتةَ الأولى ..

[٤] – لو كانت العبارةُ القرآنيّةُ (وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً) تعني الموتةَ الأولى ، لكانت الموتةُ الثانيةُ هي التي نشهدُها ، ولكان بينهما فاصلٌ من الزمانِ والمكانِ هو حياتُنا الدنيا ، وبالتالي لكان الموتُ يقع مرّتين وليس اثنتين ، وهذا يُناقضُ العبارةَ القرآنيّةَ (أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ) ..

إذاً الموتتان الأولى والثانية ، هما في داخلِ العبارةِ القرآنيّة (ثُمَّ يُمِيتُكُمْ) في الصورةِ القرآنيّةِ التالية (وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [البقرة : ٢٨/٢] ..

الموتةُ الأولى تفصلُ بين عالمِ الدنيا وعالمِ البرزخ ، والموتةُ الثانيةُ تفصلُ – كما سنرى – بين عالمِ البرزخِ وعالمِ الآخرة .. فبين الموتتين عالمُ البرزخِ ، وهو عالمُ ما وراء المادّةِ والمكانِ والزمان ، ولذلك رأينا كيف أنّ النصَّ القرآنيَّ أتى (أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ) ولم يأتِ (أمتّنا مرّتين) .. أي لا يُوجدُ زمانٌ ولا مكانٌ بين الموتتين ، وذلك من منظارِ عالمِ البرزخ .. وكذلك – كما قلنا – لا يُوجدُ زمانٌ ولا مكانٌ بين الحياتين الدنيا والآخرة – من المنظارِ ذاته – ولذلك رأينا أنّ العبارةَ القرآنيّةَ هي (وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) ، ولم تأتِ (وأحييتنا مرّتين) ..

ولو عُدنا إلى القرآنِ الكريمِ لرأينا أنّ النفخةَ الأولى في الصُّورِ تؤدّي إلى مسألتين متلازمتين تماماً ، هما الفَزَعُ والصَّعقَةُ ..

(وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ) [النمل : ٨٧/ ٢٧] ..

(وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) [الزمر : ٦٨/٣٩] ..

فالفَزَعُ والصَّعقَةُ ، مسألةٌ تشملُ كلَّ من في السماواتِ والأرضِ ، إلاّ من شاء الله تعالى له ألاّ يفزَعَ ولا يصعَقَ ، كما يؤكّد القرآنُ الكريمُ ، أي تشملُ كلَّ الأنفس – التي ستصعق – من عصرِ آدمَ عليه السلام حتى قيامِ الساعةِ ، بدليلِ قولِه تعالى (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) .. فالذين يقومون ينظرون بعد النفخةِ الثانيةِ هم جميعُ البشرِ من آدمَ عليه السلام إلى آخرِ إنسانٍ في الحياةِ

الدنيا ، وليسوا مجرَّدَ الأحياءِ أثناءَ قيامِ الساعة .. وبالتالي فالعبارةُ القرآنيّةُ (فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) تشملُ – فيما تشمل – البشريّةَ جمعاءَ ، من آدمَ عليه السلام إلى آخرِ إنسانٍ في الحياةِ الدنيا ..

واللهُ تعالى يتوعّدُ الكافرين ، بهذه الصعقةِ .. (فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (٤٥) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ) [الطور : ٥٢/ ٤٥-٤٦] .. فالكافرون الذين يتوعّدُهُم اللهُ تعالى بهذه الصعقةِ موجودون في كلِّ العصور .. وبالتالي فالصعقةُ ستكون للنفسِ المجرّدةِ ، وليس للإنسانِ الجسدِ ، فمعظمُ الكافرين الذين ستصعقُ أنفسُهُم غادروا الدنيا – عَبْرَ الموت – قبلَ قيامِ الساعة ..

وفي الوقتِ ذاتِه يؤكِّدُ لنا القرآنُ الكريمُ أنّ المؤمنين الذين سيدخلون الجنّةَ ، آمنون من الفَزَعِ ، وبالتالي آمنون من الصعقةِ التي ستنتجُ عن النفخةِ الأُولى ..

(إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) [الأنبياء : ٢١/١٠١-١٠٣] ..

(مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) [النمل: ٢٧/٨٩] ..

إذاً المؤمنون الذين سيدخلون الجنّةَ لا يَفزَعون ولا يصعقون ، ويدخلون ضمنَ إطارِ الاستثناءِ (إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) في الصورتين القرآنيّتين التاليتين ..

(وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ (٨٧) وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) [النمل : ٢٧/٨٧-٨٩] ..

(وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) [الزمر : ٣٩/٦٨] ..

.. هذه الصعقةُ الناتجةُ عن النفخة الأُولى وما يُرافقُها من فَزَعٍ ، هي الموتةُ الثانيةُ التي تنالُ جوهرَ النفسِ المجرّدة .. ونرى أنّها تنالُ فقط أنفسَ الذين سيدخلونَ النار .. وبالتالي فإنّ أهلَ النارِ يكونون قد ماتوا موتتين ، الموتةَ الأولى وهي التي يشتركون فيها مع أهلِ الجنّة ، وهي التي تنفصلُ فيها النفسُ عن الجسد انفصالاً كاملاً لتدخلَ عالمَ البرزخ ، والموتةَ الثانيةَ التي ينفردون بها ، وهي الصعقةُ التي تنالُ أنفسَهم نتيجةَ النفخة الأولى .. ولذلك يقولون (قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ) [غافر: ٤٠/ ١١] ..

بينما أهلُ الجنّةِ مستثنون من الصعقةِ وما يصحبُها من فزعٍ ، وبالتالي لا يموتون الموتةَ الثانيةَ التي يموتُها من سيدخلونَ النارَ .. (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) [الدخان : ٤٤/٥٦] ..

إنّ الموتةَ الأولى التي تؤدّي إلى دخولِ النفسِ في عالمِ البرزخِ ، هي – في الحقيقة – الدرجةُ الأولى من درجاتِ الآخرة .. فالنفسُ المؤمنةُ بمجرّدِ مفارقتها للدنيا تدخلُ مرحلةَ عينِ اليقين ، فتشاهدُ مصيرَها وهو الجنّة .. والنفسُ الكافرةُ بمجرّدِ مفارقتِها للدنيا تدخلُ مرحلةَ عينِ اليقين فتشاهدُ مصيرَها وهو النار ..

(النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) [غافر : ٤٠/٤٦] ..

وأهلُ الجنّةِ يطّلعونَ على الجنّةِ منذ موتتِهم الأولى ، ودخولِهم في مرحلةِ عينِ اليقين .. وبالتالي حينما يدخلونَها في الآخرةِ (في مرحلة حقِّ اليقين) ، يكونون قد عَرَفُوها سابقاً .. (وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ) [محمّد : ٤٧/٦] ..

وفي حالِ حَمْلِ بعضِ النصوصِ القرآنيّةِ التي تُبيّنُ أنّ الشهداءَ والصالحين يدخلونَ الجنّةَ ، على الدخولِ المباشرِ بعدَ الموتِ مباشرةً ، فإنّ الجنّةَ المعنيّةَ – وفقَ هذا المذهب من التفسير – هي الجنّةُ الروحيّةُ (لا الحسّيّة) كمرحلةِ عينِ يقين ، وليس كمرحلةِ حقِّ يقين .. وكذلك الأمرُ بالنسبةِ لأهلِ النار ..

(قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ) [يس : ٣٦/٢٦-٢٧] ..

(مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً ٠٠٠٠٠) [نوح : ٧١/٢٥]

(يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي) [الفجر : ٨٩/٢٧-٣٠] ..

والصورةُ القرآنيّةُ التاليةُ ، تُبيّنُ هذه الحقيقةَ ..

(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ) [آل عمران : ٣/١٦٩-١٧١] ..

فالصورةُ القرآنيّةُ (يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ) تؤكّدُ أنّهم لم يدخلوا الجنّةَ الحسّيّةَ بعد ، فالاستبشارُ هو طلبُ البشرِ والسرور .. أي أنّهم يأملون بعد دخولِهم في الجنّةِ الحسّيّةِ – التي لم يدخلوها بعد – المزيدَ من نعمةِ اللهِ تعالى وثوابِه ..

والسعادةُ الحاصلةُ لهؤلاء – في مرحلةِ عينِ اليقينِ هذه – هي سعادةٌ روحيّةٌ يُرزقون فيها رضوانَ اللهِ تعالى وغفرانَه ، وحياةً إيمانيّةً تصلُهُم باللهِ تعالى (بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) .. فهي تُماثلُ حالَ الملائكةِ الذين عند ربِّهم ..

(إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ) [الأعراف : ٧/٢٠٦] ..

(٠٠٠٠٠ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ) [الأنبياء ٢١/١٩-٢٠] ..

(فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ) [فصّلت : ٣٨/٤١] ..

أمّا الدخولُ الحسّيُّ لأهلِ الجنّة إلى الجنّة ، ولأهلِ النارِ إلى النار ، فهو دخولٌ جماعيٌّ ، حسّيٌّ ، لا يكون إلاّ بعد النفخة الثانية ، وبعد إنشاءِ الجنّة والنارِ الإنشاءَ الحسّيَّ ، وبعد أن يقضي اللهُ تعالى بين العبادِ بالحقّ ..

(وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠) وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً ..... قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) [الزمر : ٦٨/٣٩-٧٣] ..

والنفوسُ في عالمِ البرزخِ مجرّدةٌ عن عالمِ المادّة ، وبالتالي لا تُدركُ الجزئيّات ، وما تدركُهُ هو الكليّات .... فالنفوسُ المؤمنةُ تكون – في عالمِ البرزخ – أشبهَ ما تكونُ بالحالة الملائكيّة ، فقد عَمِلَتْ في حياتها الدنيا وفق منهجِ الله تعالى .. والنفوسُ الكافرةُ تكون – في عالمِ البرزخ – أشبهَ ما تكونُ بالحالة الشيطانيّة ، مرهونةً بعملِها المناقضِ لمنهجِ الله تعالى ، الذي عملتْهُ في حياتها الدنيا ..

وعلى الرغمِ من أنّ النفوسَ المؤمنةَ والكافرةَ تكون – في عالمِ البرزخِ – في مرحلة عينِ اليقينِ بالنسبة للجنّة والنار ..فإنّ عدمَ إدراكِها للجزئيّات في ذلك العالمِ ، وعدمَ إحساسِها بالزمانِ والمكان ، يجعلُها (وهي في عالمِ البرزخ) غيرَ مُدركة لحقيقة تفاعُلِها الحسّيِّ مع الجنّة والنار ... هذا التفاعلُ الحسّيُّ الذي لا يكونُ إلاّ بعد تزاوجِ هذه النفوسِ مع أجسادِها التي ستُخْلَقُ في الآخرة .. ولذلك بعد هذا التزاوجِ ، وبعد إدراكِها للجزئيّات ، إضافة لإدراكِها للكليّات ، تُدركُ حقيقةَ العالمِ الآخر إدراكَ حقٍّ يقين ..

(وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) [يس : ٣٦/٥١-٥٢] ..

والجنّةُ والنارُ كوجودٍ حسّيٍّ ، ليستا موجودتين أصلاً قبل الانقلابِ الكونيِّ الذي تُبَدَّلُ فيه الأرضُ غيرَ الأرضِ ، وكذلك السماوات ..

(فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٤٧) يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ) [إبراهيم : ١٤/٤٧-٤٩] ..

فبعد انتهاءِ خلافةِ الإنسان لله تعالى على هذه الأرض ، يرِثُ اللهُ تعالى الأرضَ ومن عليها ..

(وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٩) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ) [مريم : ١٩/٣٩-٤٠] ..

وهذه الأرضُ .. بعد الانقلابِ الكونيِّ ، تُقامُ الجنّةُ عليها وبعرضِها وعرضِ السماوات ..

(وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) [آل عمران : ٣/١٣٣] ..

وممّا يؤكّدُ أنّ الجنّةَ ستُقامُ على الأرضِ بعد أن تُبدَّلَ هي والسماواتُ ، أنّ اللهَ تعالى سيُورِثُ هذه الأرضَ (بعد تبديلها وإقامةِ الجنّةِ عليها وبعرضِ السماوات) لعبادِه الصالحين ..

(يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (١٠٤) وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) [الأنبياء : ٢١/١٠٤-١٠٥] ..

إنّنا نرى في هذا النصِّ القرآنيِّ ، أنّ ميراثَ العباد الصالحين للأرضِ ، هو بَعدَ الإعادةِ إلى الخلقِ الأوّلِ .. وبالتالي فهذا الميراثُ يكونُ بعد إنشاءِ الجنّةِ عليها بعرضِها وعرضِ السماوات ..

وأهلُ الجنّةِ بعد دخولِهم إلى الجنّة ، يحمدونَ اللهَ تعالى بأن أورثَهُم هذه الأرضَ (التي أصبحت جنّةً) ..

(وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) [الزمر : ٣٩/٧٤] ..

فميراثُ أهلِ الجنّة للأرضِ التي ستُبدَّلُ في الآخرةِ ، هو ذاتُهُ ميراثُهُم للجنّةِ ..

(وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [الأعراف :٧/٤٣]

(تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا) [مريم : ١٩/٦٣]

وهكذا نرى أنّ الجنّةَ – وكذلك النار – غيرُ موجودةٍ الآن كوجودٍ حسّيٍّ ، لأنّها ستُقامُ على أنقاضِ الأرضِ التي نعيشُ عليها الآن ، بعد أن يُعادَ الخلق ..

ولو فرضنا جدلاً أنّ الجنّةَ والنارَ موجودتان الآن ، لفنيا بالانقلابِ الكونيِّ ، الذي سيحدثُ يومَ القيامة .. فكلُّ شيءٍ سيهلك .. (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) [القصص : ٢٨/٨٨] ..

ولو فرضنا جدلاً أنّهما موجودتان الآن ، وستُعادان على ذاتِ الهيئة بعد أن يفنيا بالانقلابِ الكونيِّ ، فإنّ ذلك يُناقضُ قولَ الله تعالى في وصفِ الجنّة ..

(مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا) [الرعد : ١٣/٣٥] .. فقوله تعالى (أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا) يعني أنّه لا يأتيها الفناء ..

والسؤالُ الذي يطرحُ نفسَه الآن هو : ما هو السِّرُّ الذي ينتجُ عن إيمانِ المؤمنين فيحميهم – وهم في عالمِ البرزخِ – من الفزعِ والصعقةِ فلا يموتون إلاّ الموتةَ الأولى حين خروجِهم من الدنيا ؟ .. ولماذا يفتقدُهُ الكافرون فيموتون موتتين اثنتين ؟ ..

.. هذا السِّرُّ هو الروح .. فكلمةُ الروح ومشتقّاتُها في القرآنِ الكريمِ [كما بيّنت في النظريّةِ الثانيةِ (القدر)]، تعني الصلةَ مع اللهِ تعالى ، والقُربى منه جلّ

وعلا ..... وإنّ الروحَ مسألةٌ ، والنفسَ مسألةٌ أخرى ، وسرَّ الحياةِ في الجسدِ مسألةٌ ثالثة ..

وفي الصورةِ القرآنيّةِ التاليةِ أكبرُ دليلٍ على أنّ الروحَ هو الصلةُ مع اللهِ تعالى ، والقربى منه ..

(لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ .....) [المجادلة : ٢٢/٥٨] ..

فهؤلاء أُيِّدوا بروحٍ من الله تعالى نتيجةَ إخلاصِهم لله تعالى وإيمانهم به .. وما يُميّزُهُم عن غيرِهم من الذين لم يُؤيَّدُوا بهذا الروح ، هو الصلةُ مع اللهِ تعالى والقربى منه جلّ وعلا ، وليس سرَّ الحياةِ في الجسد ..

والآيةُ الكريمةُ التاليةُ تؤكّدُ أنّ الروحَ الذي يترلُ به الملائكةُ على بعضِ البشر ، هو المددُ الإلهيُّ لهؤلاء البشر ، لكي يُنذروا ويدعوا إلى الله تعالى ..

(يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ) [النحل : ٢/١٦] ..

والرَّوحُ والرُّوحُ من مشتقّاتِ جذرٍ واحدٍ ، هو الجذر (ر و ح) ، وبالتالي فدلالاتُهما تدورُ ضمن إطارٍ واحدٍ من المعنى ..

(يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) [يوسف : ٨٧/١٢] ..

ولذلك فالرُّوحُ الذي نفخَهُ الله تعالى في آدمَ وعيسى عليهما السلام ، هو الصلةُ مع اللهِ تعالى والقربى منه جلّ وعلا ، وليس مجرّدَ سرِّ الحياةِ الذي يسري في الجسدِ فيجعله حيّاً ..

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) [الحجر : ١٥/٢٨-٢٩]

إنّ العبارة القرآنيّة (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ) تعني فإذا اكتملَ خلقُ الجسدِ المادّيِّ لآدمَ عليه السلام ، بما في ذلك دخولُ نفسهِ – المخلوقة مسبقاً – في هذا الجسد .. والعبارة القرآنيّة (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي) تعني وأعطيتُهُ من صلتي وقرّبتُهُ منّي ..

وعيسى عليه السلام نُفخَ فيه من روحِ الله تعالى ، إلاّ أنّ كميّةَ الروحِ الذي نُفخَ في عيسى عليه السلام ، أكبرُ من كميّةِ الروحِ الذي نُفخَ في آدمَ عليه السلام ، فعيسى * عليه السلام روحٌ من الله تعالى ..

(إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ) [النساء : ٤/١٧١] ..

ولذلك نرى أنّ عيسى عليه السلام منذُ اللحظةِ الأولى لولادتهِ كان نبيّاً ، ومنذُ ولادتهِ آتاهُ الله تعالى الكتاب ..

(فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً) [مريم : ١٩/٢٩-٣٠] ..

بينما آدم عليه السلام عصى اللهَ تعالى في جنّةِ الاختبارِ ، هو وزوجُهُ ، وبعد أن تابَ اللهُ تعالى عليه ، اجتباهُ وأتتهُ النبوّةُ ..

(..... وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى)

[طه : ٢٠/١٢١-١٢٢] ..

وكلّ إنسانٍ حينما يكتملُ خلقُهُ الجسديُّ ، وحين دخولِ نفسه في جسده ، ينفُخُ اللهُ تعالى فيه من روحه .. ولذلك نرى أنّ الإنسانَ بفطرتهِ يعرفُ اللهَ تعالى ، فكلُّ مولودٍ يُولدُ على الفطرة ..

---

* لذلك نرى أنّ القيمةَ العدديّةَ لكلمة عيسى وِفق الأبجديّة القرآنيّة المكتشفة لأوّل مرّةٍ في العالَمِ في النظريّة الخامسة (إحدى الكُبَر) ، تساوي تماماً القيمة العدديّة لكلمـ ـةِ الـ ـروح ، وتساوي تماماً القيمةَ العدديّةَ لكلمةِ الإنجيل :

عيسى = ١٢+٦+١٥+١ = ٣٤

الروح = ١+٢+٨+٥+١٨ = ٣٤

الإنجيل = ١+٢+١+٣+١٩+٦+٢ = ٣٤

(الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ) [السجدة : ٣٢/٧-٩]

..

وبعد ولادة الإنسان ، وأثناء امتحانه في هذه الدنيا ، إمّا يكسبُ بإيمانه مدداً من الله تعالى ، فيمدُّهُ جلّ وعلا بهذا الروحِ .. وإمّا يخسرُ بكفرِهِ وبصدِّهِ عن سبيلِ الله تعالى ، حتى ما نُفِخَ فيه من هذا الروحِ حين ولادته ..

ومما يؤكِّدُ أنّ الروحَ هو الصلةُ مع الله تعالى والقربى منه ، أنّ جبريلَ عليه السلام يُوصَفُ بالروحِ الأمين ، أي الصلةِ الأمينةِ والقربى الأمينةِ بين الله تعالى والمخلوقات ..

(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ) [الشعراء : ٢٦/١٩٣-١٩٤]

والقرآنُ الكريمُ روحٌ من أمر الله تعالى ..

(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [الشورى : ٤٢/٥٢] ..

.. وهكذا نرى أنّ الروحَ الذي يمتازُ به المؤمنون عن الكافرين ، والذي يعني الصلةَ مع الله تعالى والقربى منه جلّ وعلا ، هو سرُّ حمايةِ المؤمنين من الفَزَعِ والصعقةِ ، وبالتالي من الموتةِ الثانية حينما تُنفَخُ في الصورِ النفخةُ الأولى .. بينما الكافرون الذين يفتقدون هذا الروحَ يَفْزَعون ويصعقون ويموتون موتَتَهم الثانية ..

وهذا الروح الذي يمتاز به المؤمنون على الكافرين ، هو نورٌ من الله تعالى .. وقد أشارَ اللهُ تعالى إلى هذه الحقيقةِ ، عَبْرَ وصفِهِ لكتابِهِ الكريم بصفتي النورِ والروح ..

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا) [النساء : ٤/١٧٤] ..

(فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [الأعراف :٧-١٥٧] ..

(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا) [الشورى : ٤٢/٥٢] ..

ووجودُ الروحِ مع المؤمنين ، إضافةً إلى أنّه سرٌّ حمايتِهم من الفَزَعِ والصعقة ، وبالتالي حمايتِهم من الموتة الثانية ، فإنّه سرُّ النورِ الذي يَرون به في الآخرة .. ذلك النور الذي يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، والذي يفتقده الكافرون والمنافقون ، فلا يَرون لأنّهم يفتقدون هذا الروح ..

(يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) [الحديد : ٥٧/١٢-١٤] ..

فالصورة القرآنيّة (وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ) ، تبيّن سببَ عدمِ امتلاكِهم لهذا النورِ ، وهو ذاتُهُ سببُ عدمِ حصولِهم على الروح ..

فنورُ الحقّ الذي يقتبسُهُ المؤمنون في حياتهم الدنيا ، ويرون به ، ويعملون به ، هو ذاتُهُ يرون به يوم القيامة .. وظلماتُ الجهلِ والضلال التي يعمه بها الكافرون في حياتِهم الدنيا ، تصبحُ من حيثيّات خلقِهم في الآخرة ..

ففي حين أنّ آليّةَ الرؤيةِ في الحياة الدنيا ماديّةٌ ، وأنّ الضوءَ الذي ينقلُ صُورَ الأشياءِ إلى عيوننا هو خارجَ ذواتنا .. فإنّ حقيقةَ الرؤيةِ في الآخرةِ إيمانيّةٌ ، وإنّ النورَ الذي تُرى به الأشياءُ ينبعُ من الذاتِ المؤمنة ، بما يتناسبُ مع درجةِ إيمانِ هذه الذات ..

فمن كان في حياته الدنيا لا يرى نورَ الحقّ في منهجِ الله تعالى ، ولا يعملُ وِفق هذا المنهج ، ولا يرى ببصيرتِهِ الكليّاتِ التي يجب أن يراها من خلالِ تفاعلِهِ مع

الجزئيّات .. يجعلُهُ هذا العمى (المعنوي) أعمى (حقيقة) في الآخرةِ ، لأنّ ماهيّةَ خلقِ ذاتِه في الآخرةِ لا تحملُ النورَ الذي تُرى به الأشياءُ ..

(وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً) [الإسراء : ٧٢/١٧] ..

(وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً) [الإسراء : ٩٧/١٧] ..

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى) [ط ه : ١٢٤/٢٠-١٢٦] ..

المهندس عدنان الرفاعي